

الأنبياء (ع) والأخلاق



«من المعروف انّ الأنبياء - البالغ عددهم (124) ألف نبيّ، كما ورد في أخبار أهل البيت - عليهم السلام - وذكر منهم (25) نبيّاً ومرسلّاً في القرآن الكريم - ودورهم الرسالي في تبليغ أُممهم وإرشادهم إلى أُصول الفطرة من حبّ الكمال والجمال ودعوتهم إلى مكارم الأخلاق ومحامدها وابتعادهم عن مساوئها وقبائحها من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وذلك بالإنذار والتبشير: (إِنَّمَا أَرْسَلْتُكُمْ عَلَى الْكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد/ 7).

(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ عَالِمِي الْغُيُوبِ) (النساء/ 165). (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) (الأنعام/ 48).

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَمَنْ جَاءَ أَهْلًا مِنْهُمْ فَهُوَ رَحِيمٌ) (البقرة/ 213). (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَخْسَرَهُ الْفَالِكُ الْكَاذِبُ الْغَافِرُ) (غافر/ 78).

(وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بِعَدَدِ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُصْرِفُونَ) (المائدة/ 32).

(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (البقرة/ 87).

راجع: (يس/ 13-29)، (غافر/ 81)، (الأحقاف/ 32-34) (الحاقة/ 9-12).

إنّهم القدوة والأسوة (فيهداهم اقتده)...

والمقصود من مطالعة حياة الأنبياء وسيرتهم تثبيت الفؤاد والموعظة والذكرى والتقوى والإصلاح

والعبادة ﷻ سبحانه، واجتناب الطاغوت والجبايرة والتضرع ﷻ سبحانه، وليقوم الناس بالقسط والعدالة الاجتماعية والفردية، والبلاغ الواضح والمبين، والعمل الصالح والسباق إلى الخيرات، ونشر المعارف والعلوم والأخلاق الحميدة، وغير ذلك من الحق وأنواره (وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْعَامَّةِ مِنَ الَّذِينَ) (هود/ 120).

(يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الأعراف/ 35).

(وَمَّا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِمْ أَنْزَلَهُ إِلَّا أَنْزَلْنَا فَأَعْبَدُونَا) (الأنبياء/ 25).

(وَمَّا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيظَةٍ مِنْ نَبِيٍِّّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَيْدِي سَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَصْحَرُونَ) (الأعراف/ 94).

(وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف/ 96).

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ إِيذُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الصَّالَاتُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) (النحل/ 36).

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد/ 25).

(فَهَلْ عَلِمَ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النحل/ 35).

(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) (المؤمنون/ 51).

(تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّغْنَا عَنْهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهَوْاْ وَلِيْدُهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ) (النحل/ 63).

أجل:

لقد أخبرنا ﷻ في محكم كتابه الكريم عن جملة من أخلاق أنبيائه الكرام - عليهم السلام - فإن القرآن المجيد أخذ مساحة كبيرة جدًّا في قصص الأنبياء وبيان بعض أحوالهم الخاصة والعامة، ولا سيَّما في إبانة أخلاقهم الطيبة، وذلك في آيات كريمة في سور من القرآن سمَّيت بأسمائهم لسرد الحوادث والوقائع التي كانت في حياتهم مع أهمهم لتكون عبرة للآخرين، ففي قصصهم لآيات لأولي الألباب.

ومن السور: آل عمران ويونس وهود ويوسف وإبراهيم ومريم وطه والأنبياء ويس ومحمد ونوح والمزمل والمدثر.

وكان للأخلاق مدخلية أساسية وواسعة في انتشار الرسائل التي قاموا بتبليغها، فلولا صدقهم وجنانهم وخلقهم الرفيع وصبرهم وجلهم الواسع، لما مال الناس إليهم (ولَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا الْقَلْبِ لَانْفَضَّوْا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران/ 159).

ولو طالعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا فيها شهادة واضحة وبالغة بحق أخلاق خاتم النبيين محمد (ص) بقوله تعالى: (وَإِنْ زَلَّكَ لَعَلَّيْ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم/ 4)، كما مدح خليفه بقوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) (هود/ 75)، وعند ملاحظة الآيات التي

تتعلّق بأخلاق الأنبياء، نجد هناك فروقات وإمّيازات في العرض القرآني بين الأنبياء - عليهم السلام -، ومن وراء ذلك لا محالة أغراض ومقاصد، منها ما تتعلّق بأُمّهم ومجتمعاتهم، فالمجتمع الذي أُبتلي بالمفاسد الاقتصادية كان نبيّهم يتعامل معهم بأخلاق على ضوء ذلك، كما بعض المجتمعات أُبتلت بالمفاسد السياسية، ومنهم بالمفاسد الاجتماعية أو الثقافية وهكذا، فأعطى لكلّ نبيّ دوره الخاص ليعالج تلك المفاسد بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأخلاق الطيّبة. ومن هذا المنطق وغيره اختلف الأنبياء - عليهم السلام - في تطبيق الأخلاق الإلهيّة، التي هي من أهمّ فلسفة وأركان بعثتهم ورسالتهم، ولكن اشتهر الجميع في جملة من الأخلاق، فكان بمنزلة القاسم المشترك في دعوة السماء من آدم إلى الخاتم - عليهم السلام -.

فمن أبرز المشتركات بين الأنبياء قاطبة:

أوّلاً: وهو أساس الأخلاق الفاضلة، كما هو أساس العقيدة الصحيحة، وأساس الفقه النبوي هو التوحيد والإيمان بالله سبحانه وبوحدانيّته وأحديّته، فهذه أوّل دعوة الأنبياء على الإطلاق، ولكن أكثر الناس للحقّ كارهون فكفروا بالله وأشركوا به.

(قَالَتَ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُفَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْزِلَتْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُمْ تُؤَنَّا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتَ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلَا تَتَّخِذُوا كَلِمَةَ الْمُؤْمِنِينَ (إبراهيم/ 10-11).

(إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (فصلت/ 14).

ثانياً: إمتازوا بالصبر والحلم الفائقين على تحمل الأذى والمتاعب والمصائب، حتى منهم من نشر بالمناشير، وقال خاتمهم الرسول الأعظم محمد (ص): "ما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذيت".

(وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّخِذَ كَلِمَةَ اللَّهِ وَفَقْدَ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَا تَتَّخِذُوا كَلِمَةَ الْكُفْرَانِ) (إبراهيم/ 12).

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ نَصْرٌ) (الأنعام/ 34).

المصدر: كتاب أخلاق الأنبياء في القرآن الكريم